الفصل الرابع

ما بعد ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾

- اليوم أكملت لكم دينكم
- بين ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾

obeikandl.com

obeikandl.com

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾

﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ نموذج مكثف أو نواة حضارية متكاملة تحمل داخلها كل الوحدات البنائية للحضارة والنموذج التغييري الإسلامي ، كما تحمل أيضًا السمات الفريدة لطبيعة هذه الحضارة وتكوينها .

فماذا حدث بعد ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ ؟

سوف نقفز أولاً إلى :

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ (المائدة:٣).

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ تعني تمام النموذج واكتمال المنظومة ووصول التغيير أو التفسير الجديد للوجود إلى نهايته ، بما يعني إغلاق المنظومة واستقرارها وعدم قدرة أحد أن يضيف إليها أو يعدل فيها ، ذلك أن أي إضافة أو تعديل تتنافى مع : ﴿ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ ، فلن تكون هذه الإضافة أو التعديل ، كائنة ما كانت ، سوى نحر في بنيانها وتآكلٍ في أصولها أو انحرافٍ وتشوهٍ في النموذج .

ولأن هذه كانت هي خاتمة النماذج الإرشادية من الخالق إلى خلقه ، كان من رحمة الله عز وجل بهم أن تكفل بعصمة هذه المنظومة وضمان استقرارها وعدم انحرافها ولا تآكلها ، عصمتها بحفظ النص الذي يحملها ، وبقائه لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يزاد فيه ولا ينقص منه ، ولا يتطرق إليه اضطراب عقول البشر ولا انحراف نفوسهم ولا أهواء قلوبهم ولا هفوات أيديهم :

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:٩)

فحفظ عز وجل بذلك المنهج والمنظومة والإطار التفسيري الجديد والصحيح والحق للوجود من التعديل في أصله بزيادة أو نقص ، أو إعادة

وضع لموجود في غير مكانه ، أو وسمه بغير سماته ، أو بتغيير العلاقة بين هذه الموجودات بما يحرف ما أوجدها عز وجل فيه .

فكل زائد على عناصر هذه المنظومة هو خارج عليها غريب عنها ، قد تنخدع بعض العقول ببريقه وزخرفه ، أو برنين أسماء من يحملونه ، أو بالغفلة عن أصول المنهج ، لكن المنظومة نفسها لا تلبث أن تلفظه ، وتعيد باستقرارها وكمالها ، تصحيح الأوضاع الذهنية الخاطئة في عقول أبنائها .

وهذا ركن مهم إلى أقصى درجة في فهم المنهج والمنظومة الإسلامية للوجود وتقييمها ، فالمنظومة كاملة مستقرة تامة شاملة غير قابلة للتعديل والتحريف بعصمتها وحفظها ، ولا للزيادة والتزيد بتقرير كمالها وحسمه .

وإلى جوار كل هذا هي نفسها تتسم بالفاعلية الذاتية التي تجعلها قادرة بإحكامها على لفظ كل غريب عنها وإعادة غربلة أي تصور يوضع إلى جوارها ، في استقلال كامل عن أذهان الأتباع .

فالمنظومة هي التى تقبل وترفض وتفسر وتصحح حتى في ظل غفلة أصحابها ، وهو ما يفسر قدرة المنظومة القرآنية على البقاء نقية صافية لا يتلبس بها تصور ولا يختلط بها نموذج آخر، وحتى إذا وجد إلى جوارها نموذج أو تصور آخر أو حتى عنصر في تصور يتشابه مع أحد عناصرها فإنه يظل منفصلاً عنها خارج إطارها ولا يدخل إلى بنيتها ولا يتداخل بمكوناتها أبدًا .

وبذلك صمد المنهج أمام وثنية العرب وفلسفة الإغريق وأساطير الهند ، فلم تفلح أي منها في أن تحيد به ولا بأي مكون فيه قيد شعرة عن أصله ووضعه ومكانه وعلاقته بما حوله ، ومن جاوره منها فإلى حين ، ثم يفنى وتبقى هي بعد فنائه كما كانت قبل وجوده .

وليست كذلك كل الحضارات أو النماذج ومنظومات الرؤية ، فكلها يتعدل ويتغير ويتشكل ويعاد صياغته من عصر إلى عصر ، ومن مكان إلى مكان ،

ومن عقل أمة إلى عقل أخرى تأثرًا بالبيئة وطبيعة الإنسان المختلفة والاحتكاك مع التصورات الموازية أو اللاحقة ، التي تتداخل كلها فتؤدي إلى ابتعاد المنظومة أو التصور عن أصله بما يقاس بالسنوات الضوئية .

والمسيحية خير مثال ، ليس فقط ببعدها عن أصلها الذي نعتقده في الإسلام ، بل حتى عن أصلها الذي يعرفه أصحابها ويقرون به .

وما نقوله ليس ببعيد عما نحن فيه : «**فأى انحراف في العقيدة (المنظومة أو الرؤية التي يفهم من خلالها الوجود) يؤدى إلى تغييرات عميقة متلاحقة يتوالد بعضها من بعض**[1]».

فانحراف التصور وتعديل أو تبديل المنظومة أو التصور يغير طريقة فهم الإنسان لها وتعامله مع مكوناتها، ذلك أن التعامل مع الشيء نابع عن تصوره الذي يوجد به في الذهن ، فينتهي التعديل والتغيير بنتائج فادحة في التعامل مع الكون والإنسان والخلق وإلى آثار لا حد لها في مسيرة البشرية وفهم الوجود .

* * *

(١) جوستاف لوبون : سر تطور الأمم ، ص ١٦٣ .

obeikandl.com

بين ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾

﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ هي لحظة الانفجار الكبير للحضارة الإسلامية ومنظومة التغيير والتفسير الإسلامي للوجود ، و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ هي اكتمال المنهج ولحظة غلق المنظومة وعصمتها بذلك من التعديل وحفظها وصونها عن التغيير .

فماذا حدث بين ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾؟

حدث بين ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ أمران مهمان ، لاحد لأهمية فهمهما وتقديرهما ووضع كل منهما في موضعه وفهم العلاقة بينهما .

والأمران متشابهان ومختلفان ، متمايزان ومتداخلان ومتكاملان ، أحدهما أصل والثاني فرع عنه ، أحدهما مطلق والآخر مقيد ، أحدهما غير قابل للتعديل ولا التغيير والآخر غير قابل للتكرار، والأمران متلابسان متجانسان .

أولاً : بسط المنظومة وتحديد ملامحها :

الأمر الأول هو بسط المنهج ونشر المنظومة التي ولدت مكثفة متضاغطة في ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ لحظة الانفجار الكبير .

فـ ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ كما علمنا ، تحمل سمات الحضارة الإسلامية كلها ومعالم المنهج والمنظومة الإسلامية في صورة نواة تحوي طاقة التغيير ومعالمه موجزة مكثفة متضاغطة .

وما بين ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ تم إخراج المنظومة من النواة وبسطها ونشرها وتحديد مكوناتها وعناصرها بصورة واضحة لا تحتمل لبس الإيجاز ولا امتزاج التكثف .

ومع تحديد عناصر الوجود في الرؤية الإسلامية وبيان مكوناته ، كان أيضًا بيان صفات كل مكون وحدوده وملامحه هو في نفسه ، وإبراز موضعه من التصور وعلاقته بغيره من المكونات داخله ، والرابط الذى يربط هذه المكونات كلها وعناصر الوجود معًا ويحدد دور كل منها ، مما أنتج لحظة الاكتمال والغلق منظومة شاملة تامة كاملة متناسقة متجانسة محددة المعالم واضحة السمات ، كل مكون فيها هو أيضًا واضح محدد المعالم والملامح في مكانه الصحيح الذي ينبغي له من مكونات الوجود الأخرى وفي مستقره المكين من المنظومة ، بما يجعله عصيًّا على الاهتزاز والقلقلة ومحاولات التعديل والتغيير والانحراف به في نفسه أو في علاقته بغيره .

فبين ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ خرجت للوجود معالم الألوهية الحقة كما يجب أن تكون وصفات الإله الحق وكيف أنشأ الوجود ويسيره ، وبينهما تمت الصياغة النهائية لمعالم الإنسان في نفسه واكتمل الإطار الذي يجمعه بغيره من بني الإنسان ومن المخلوقات ومكانه من الخالق ، وبينهما ظهر وضع الإنسان في الكون وعلاقة له به لم تكن له من قبل .

وبينهما حضر إلى العالم والإنسانية نسق واضح غير مسبوق للربط بين الوحي والعلم والعقل ، ومنهج متكامل في المعرفة ووسائلها ، وبينهما تمت إعادة تفسير العلاقة بين الدنيا والآخرة تفسيرًا يشملهما معًا فى إطار واحد وتكمل فيه إحداهما الأخرى ، وبينهما توحدت كل هذه العناصر والمكونات في وحدة واحدة غير مسبوقة ولا ملحوقة .

﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ كانت نواة حضارية شاملة متكاملة ، والمسافة بينها وبين « ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ كانت وضعًا لهذه النواة تحت المجهر لرؤية تفاصيلها وسماتها الدقيقة وتكبير ملامحها وإخراجها في صورة واضحة مفصلة لا مجال فيها للبس ولا للخلط أو التوهم .

ففي المسافة بين ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ تحددت السمات النهائية للنموذج واكتملت صفات المكونات في المنظومة .

وما حدث بين ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ من إكمال ثم غلق للمنظومة وتحديد لسماتها وتفصيل وبيان لسمات مكوناتها هو الأمر المطلق غير القابل للتعديل ولا التغيير .

وهو النموذج الذي ، وإن تلبس نزوله وبيانه بفترة زمنية محددة ، فهو مطلق عن الزمان ، يعلو فوقه ، أو هو خارج نهر الزمن ، ليس في الأمام ولا في الخلف الزمني ، وإنما هو ، دائمًا وفي كل عصر ، في الأمام النفسي لأتباعه ، وهو في الحقيقة فوقهم وأعلاهم ، يمر نهر الزمان بهم تحته وهو ثابت لا يتغير ولا يتحرك ولا يتبدل وضعه بالنسبة لهم في أي عصر ، لأنه فوق نهر الزمن وخارج مجراه ولا يتداخل به .

وفهم هذه المسألة مهم في ذاته ومهم لفهم رؤية المسلمين وتصورهم لحضارتهم ، فالمسلمون الذين أنتجهم هذا النموذج وأخرجتهم هذه المنظومة لم يحدث أبدًا في أي عصر بعد العصر الذي التقت فيه المنظومة ، التقاءً غير متلابس ، بالزمن أن ارتبطت المنظومة في أذهانهم بالتاريخ أو الماضي ، بل كانت دائمًا كيانًا حيًّا متدفقًا موجودًا معهم في كل زمن وفي كل عصر كما هو في الذي قبله والذي قبله ، وكما سيكون في الذي بعده والذي بعده .

وما نريد أن نقوله هو أنه كان هناك دائمًا فصل واضح وتمييز بين النموذج والمنهج والمنظومة وبين الزمن الذي عاصر نزولها إلى البشر ، فلم يلتبس أحدهما بالآخر أبدًا ، ولم تؤثر معاصرة نزول النموذج والمنهج للحظة معينة ، ولا استطاع توالي العصور بعد هذه اللحظة التي التقت المنظومة فيها بالزمن أن يحدث لبسًا يدخلها في وعي أهلها داخل مجرى الزمن ولو للحظة واحدة .

وقفة تمييز :

ويقتضي الوصول إلى هذه النقطة الوقوف ، إذ قد يتصور البعض من غير أهل النموذج والمنظومة القرآنية ، أو ممن يحسبون عليها وهم في الحقيقة ليسوا منها ولا يمتون لها بصلة ، أن هذه حالة مرضية أصيبت بها الأمة الإسلامية كلها وعبر تاريخها كله ، تجعلها توقف الزمن دائمًا في لحظة واحدة لا تتحرك ، هي لحظة البداية والنشأة ، مثلها مثل حالات الحنين إلى الماضي أو نقطة الميلاد الأولى المرضية Nostalgia .

والأمر شاسع البون ، إذ الفارق الجوهري بين الأمرين هو أن حالات الحنين إلى الماضي النفسية المرضية هي حالات ذاتية لا دخل لما خارج نفس الإنسان في إنشائها ، ولا يوجد شيء خارج ذهن المصاب بها وعقله ونفسه يحمل في حقيقته ملامح اللازمنية أو الارتفاع عن الزمن .

وليست كذلك حال أمة الإسلام ، ثمار النموذج والمنظومة ، ذلك أن هذا التصور وهذه الرؤية منهم وهذا الفهم للمنظومة والنموذج على أنه خارج الزمن وقابل للوجود كما هو في كل عصر ، وإمكان تغيير الحياة لإعادتها إليه رغم ملابسة نزوله للحظة زمنية معينة ، هذا التصور وهذه الرؤية لم تنشأ في نفوسهم وعقولهم أولاً ومن لا شيء ، وإنما نشأت في عقولهم وقرت في نفوسهم صدى وانعكاسًا للمنظومة نفسها وأثرًا من آثار النموذج والمنهج المتكامل .

فالرؤية والتصور المرتفع عن الزمن هو تصور صحيح لحالة حقيقية موضوعية واقعة وليس حالة مفترضة أنشأتها النفس المريضة دون أصل لها في الواقع .

فاللازمنية هي إحدى ملامح المنظومة نفسها ، وهي علامة من علاماتها ، وأركانها وتفاصيلها وجزئياتها الدقيقة هي التي تبني هذا الانفصال عن الزمن وتجعله أحد أركانها الحقيقية وسماتها في تصور من تُنشئهم .

فالمنظومة من الله عز وجل ، وهو عز وجل خالق الزمان ويحيط به علمًا ، ولا يأتي زمان ولا يحدث فيه حدث إلا وهو معروف مسجل مكتوب .

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام:٥٩) .

فالأحداث لن تؤثر في ثبات المنهج ولن تغير في المنظومة لأنها معلومة مسجلة .

والمنظومة القرآنية نفسها لا دخل للزمن فيها ، ماضيًا أو مستقبلاً ، فالقرآن منزوع الإشارات والدلالات الزمنية، والمستقبل عند البشر قد حدث فيه وصار واقعًا معروفًا .

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ (النحل:١).

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ (الزمر:٦٩) .

والماضي في معارف البشر عنده حاضر يقع في لحظته ، فإبراهيم عليه السلام :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ (البقرة:١٢٧)

ونوح عليه السلام : ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ ﴾ (هود:٣٨)

والقرآن كله مشرف على الزمن من علٍ وخارج مجراه ، يرى بدايته ونهايته ولا يتداخل به، ويُعلِّم أهله أن قيد الزمان عليهم لا يسري عليه ولا يخضعه له:

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ ﴾ (القصص:٤٤) .... ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ (القصص:٤٥) ... ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ (القصص:٤٦) .

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾

(آل عمران:٤٤).

فارتفاع المنظومة والنموذج التغييري والتفسيري الإسلامي عن الزمن بكل تفاصيلها ، حتى وهي تتنزل تدريجيًّا هو حقيقة من حقائق المنظومة ووحدة من وحدات بنائها .

المنهج والمنظومة وقانون الدورة الزمنية :

إذا كان المنهج والمنظومة ولدا بصورة انفجارية غير ملتبسة برؤية مسبقة ولا مختلطة بها ، بل في استقلال تام ، وإذا كانت المنظومة تامة كاملة مغلقة لا يختلط بها رؤية ولا منهج يعاصرها أو يلحق زمان نزولها لأنها بطبيعتها المكتملة المقررة في حسم لا تقبل دخول عناصر جديدة إليها ، فإن هذه المنظومة الحضارية هي أيضًا غير قابلة للتحلل بفعل الزمن ولا تخضع لنظام الدورة الزمنية وقانونها الذي يصيب غيرها من الحضارات والنماذج ، فتمر بمراحل مختلفة تنتهي بالاحتضار والوفاة وأن يستبدل بالمنهج والمنظومة غيرهما .

وقد يقال : إن الدورة الحضارية الزمانية إنما تسري على المجتمعات ومنجزاتها ، أي على الحضارة بمعناها الاصطلاحي الغربي ، وليس على التصورات والمناهج والنماذج .

وتقول : لا ، بل إن قانون الدورة الحضارية الزمنية يسري على المجتمعات والمنجزات ، ويسري أيضًا على التصورات والمناهج والرؤية التي تتزامن مع هذا الرقي ، فهو ينشئها تراكميًّا وهي تدفعه .

فخضوع المنجزات الواقعية المادية للدورة وتحللها يواكبه بالضرورة تحلل وتآكل أصول المنهج والرؤية التي تكونت منها تراكميًّا وتغذيه ، ويكون تحلل المنهج والرؤية بالقدر نفسه الذي تتحلل به المنجزات ، وزوال هذا يتبعه زوال ذاك ، والعكس صحيح .

وأبرز مثال على ذلك هو الماركسية ، وهي نظام فكري مغلق ، ولسنا هنا في مقام عرضه ونقده ، وما يعنينا هو أن الماركسية كانت نموذجًا تغييريًّا تفسيريًّا للتاريخ أنشأه تطور المجتمعات الأوروبية وطبيعتها وكان إفرازًا لها ، وقامت بحمل لوائها وتطبيق أفكارها دول ومجتمعات متقدمة علميًّا وتقنيًا .

ثم انهارت هذه المجتمعات وانهارت معها النظرية واعترف أصحابها بفشلها،

والمكابر منهم من يدعي إمكان تطويرها بإدخال عناصر وتصورات جديدة أو محاولات ترقيعية لإعادتها إلى الحياة .

ولو سلمنا جدلاً بإمكان ذلك ، فلن يكون له معنى إلا أنه إنشاء لمنهج ورؤية جديدة من ثنايا السابقة ، أي طريقة التكون الغربي هي هي .

وما يسري على الماركسية كمنهج وتصور للوجود ورؤية للكون يسري على غيرها من التصورات والمناهج ، وإن تكن دورة الماركسية قصيرة سريعة ، مما يجعلها نموذجًا مثاليًّا على خضوع الرؤى والمناهج لقانون الدورة ، وانهيارها ليحل محلها غيرها من الرؤى والمناهج التي تتشكل بصورة تراكمية بطيئة .

وحضارة الغرب كلها تأكيد لذلك ، فتاريخ الفلسفة الغربية ومذاهبها ليس إلا مظهراً لخضوع المناهج والتصورات والمنظومات الغربية للدورة الزمنية وتحللها بفعل حركة الأحداث ونشوء منظومات أخرى بديلة تتكون من داخل الذاهبة ، وهكذا دواليك .

وعلى سبيل المثال : «**فالفلسفة الغربية (أي منهج الرؤية الغربية للإله والإنسان والكون والوجود كله) دخلت أزمة عميقة عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وتتمثل أعراض الأزمة في ظهور حركات فكرية تعارض المذهبين الأهمين في الفكر الأوروبي الحديث ، أي المذهب الميكانيكي المادي والمذهب الذاتي ، وهذا التغير لا يقتصر على ميدان الفلسفة وحدها ، بل يمتد إلى ما وراءه ، أي إلى ميادين الاجتماع والاقتصاد والفن والإنسان بعامة**»[1].

أليست هذه هي كل سمات الدورة الزمنية تصيب التصورات والنظريات ورؤى الإنسان للوجود بأسره ؟

وليست كذلك المنظومة والتصور والنموذج الإسلامي ، فهو لا يتحلل

---

(١) أ . م . بوشنسكي : الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، ص ٣٧ ، ويراجع فصل «الأزمة» في الكتاب المذكور .

ولا يختفي ليحل غيره محله ، وإن جاورته رؤية أو عناصر رؤية فإلى حين ، ثم تذهب ويبقى هو كما هو .

فلا توجد منظومات ولا تصورات بديلة أمكنها وراثة المنظومة الإسلامية أو زحزحتها ، ولا هى انفكت أو تحللت أو خبت جذوتها منذ التقت بالزمن والناس ، وغاية ما يحدث هو أن يغفل الناس عنها في زمان ما ، دون أن يستبدلوا بها غيرها ، فيخضعون هم لقانون الدورة وتظل المنظومة مستقلة كاملة مغلقة ثابتة راسخة إلى أن يعودوا إليها .

ثانيًا : تحويل المنظومة إلى مجتمع وحياة :

في الوقت الذي كانت فيه المنظومة بين ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ تُبسط وتفصل وتوضح أركانها وقواعدها وتحدد سماتها وملامحها ، كان يحدث الأمر الآخر ، ألا وهو تحويل المنظومة والمنهج من الصورة النظرية إلى حياة وواقع تبدو آثارها فيه ، أي إخراجها من القوة إلى الفعل .

فبينما كانت أركان المنهج والرؤية تفصل وتوضح ، كانت هذه الأركان نفسها فى لحظة تفصيلها وبيانها تتحول إلى واقع عملي وحركة فعلية في مجتمع قائم ، هو المجتمع النبوي ، بل إن جزءًا من تفصيل المنهج وبيان أركان المنظومة كان في ترجمتها إلى أثر عملي في السلوك والأخلاق وطريقة التعامل مع الواقع المحيط مكانًا وأفرادًا وجماعات .

وحين كانت تتنزل جزئية في المنظومة كانت تتنزل لا كفكرة نظرية ، بل كبيان عملي في صورة أمر بحركة أو فعل أو إرشاد أو نهي يحمل عناصر المنهج في ثناياه(•) .

(•) تنزيل القرآن منجماً حسب الوقائع والأحداث معروف مشهور ، ولمن يريد معرفة كيف كان المنهج النظري جزءًا فاعلاً في حركة الحياة وتكوين المجتمع والدولة يمكن مراجعة كتب التفسير وأسباب النزول ، وما نقصده بالمنهج القرآني هنا وإن كان عامًّا ، وعمومه صحيح ، إلا أنه منصب أساساً على التفسير القرآني لمسألة الألوهية والإنسان والكون والوجود كله والروابط بينهم ، إذ الأحكام الفقهية والتشريعية في كل مناحي الحياة مجرد فرع من هذه الرؤية ونتاج لهذا التفسير .

فتكوين المنظومة النظرية حدث عن طريق تطبيق أركانها مباشرة في تفاعل مع النفوس والمجتمع والحياة لا بمجرد الصياغة النظرية ، وهذه حكمة من حكم تنزيل القرآن منجمًا حتى لا يكون مجرد نظرية في الأذهان والعقول ، لا يُعرف كيف تطبق أو ما هو الفهم العملي الصحيح لها .

وإنما كان القرآن منجمًا لتكون لكل جزئية في المنهج الذى يحمله واقعة فعلية وموقف عملي تتنزل عليه بالتوجيه والإرشاد أو الأمر أو النهي ، فتتجسد الفكرة النظرية حياة في لحظة نزولها ، وحين وصل المنهج والنموذج النظري إلى الاكتمال كانت كل جزئياته قد تحولت إلى وقائع عملية وتطبيقية في الحياة ، وكانت الحياة والمجتمع نفسه قد تم تكوينه وتشكيله وإعادة صياغته بالمنهج الجديد ، فصارت بذلك المنظومة هي المجتمع في صورة نظرية ، وصار المجتمع هو المنظومة في صورة تطبيقية .

أو يمكن القول : إنه بهذه الطريقة صارت المنظومة والمجتمع البشري وجهين لشيء واحد ، أحدهما نظري والآخر عملي واقعي ولا يمكن فصلهما .

وبهذه الطريقة التي كان يتحول بها المنهج إلى حياة حية حتى إذا اكتمل وتم كان قد اكتمل تطبيقه في الوقت نفسه وتم ، صار للمنظومة القرآنية والرؤية الإسلامية للألوهية والوحي والإنسان والكون والمعرفة ووسائلها والدنيا والآخرة نموذجًا تطبيقيًّا معصومًا من الانحراف في الفهم أو الخلل فى التطبيق بوجود النبي عليه الصلاة والسلام ، إذ ما يحدث خطأ في التطبيق حتى ينبه ﷺ إليه أو يدله الوحي عليه ، فيعاد معالجة الخطأ وضبط الواقع على المنهج والنموذج .

وهذه خصيصة فريدة أخرى في الحضارة الإسلامية ، فهي الحضارة والمنظومة التغييرية الوحيدة التي تم تطبيقها في وقت تكونها ، وكان اكتمال المنظومة النظري هو اكتمالها العملي ، وفهمها من تطبيقها تطبيقًا لا يتطرق إليه الخلل ، وتطبيقها جزء من فهمها .

وهذا ما لم يتوافر لأي فكرة أو تصور أو نموذج آخر ، فكلها ، صحيحة كانت أو مخطئة ، ظلت حبيسة الجدران النظرية ولا يوجد نموذج تطبيقي لها يحولها من أفكار مجردة معزولة عن الحياة والمجتمع إلى واقع يمكن محاكاته ، أو الإنشاء على غراره ، أو فهم أركان المنهج النظرى وعناصره في ضوئه وبهداه .

وهذا هو الإسهام الحقيقي للمسلمين الأوائل فى الحضارة الإنسانية الذي حول المدينة الفاضلة من حلم خيالي إلى واقع حقيقي ومن يوتوبيا إلى توبيا(•).

ولدينا الآن سؤال يطرح نفسه : هل هذا التطبيق والتحويل للمنظومة النظرية في وقت تكوينها إلى حياة تكون صورة كاملة للمنظومة وتجسيداً للمنهج يخضع للزمن أم لا يخضع له؟

هذا سؤال منهجي خطير ، الإجابة عليه مفترق طرق يترتب عليها آثار بالغة الضخامة والاتساع في التعامل مع الحياة في كل عصر بعد عصر النبوة .

وهذه النقطة بالذات مجال خلط شديد والتباس أشد ومجال لتسرب الدجاجلة الذين يريدون استبدال المنهج وكسر المنظومة واختراقها ، ويعلمون استعصاءها عليهم فيلتفون حولها ويحاولون الولوج إليها من باب تطبيقها .

المنظومة والمنهج القرآني مطلق خارج الزمن لا جدال في هذا ، ومن يماري فيه أو يحاول أن يستبدل به غيره فهو خارج المنظومة والمنهج ولا صلة

(•) يوتوبيا Utopia كلمة لاتينية مكونة من مقطعين : u ، أي : لا ، وtopos ، أي : مكان ، أى : لا مكان ، وهم الاسم الذي اختاره توماس مور عنواناً لمدينته الفاضلة التي تصورها ، لإيقانه باستحالة تحقيقها في الأرض ، والمحاولة الحقيقية الوحيدة في التاريخ لإقامة مدينة فاضلة واقعية هي محاولة أفلاطون لتحويل جمهوريته الخيالية المثالية إلى واقع ، وهى المحاولة التي انتهت بأن أسره القراصنة وبيع مع العبيد!!

بينه وبينهما ، وهو أخف شرًّا وأقل خطرًا لأنه وضع نفسه في نقطة الأصل التي لا مجال للبس فيها .

أما مجال الخلط الحقيقي فهو : هل النموذج النبوي والخلافة الراشدة نموذج تطبيقي لا زمني للمنهج القرآني فهو لا يخضع لمجرى الزمن ، بمعنى هل المراد من كل مجتمع مسلم في كل عصر أن يكون صورة من النموذج النبوي الذي هو التطبيق المعصوم للمنهج ، ومن الخلافة الراشدة وهي التطبيق البشري المثالي غير المعصوم للمنهج ؟

نعم ولا !

فما معنى هذه الإجابة الملغزة؟

معناها أن النموذج التطبيقي للمنهج والمنظومة القرآنية يمكن النظر إليه هو نفسه على أن له وجهين .

الوجه الأول : هو فهم المنهج وكيفية التعامل معه لتحويله إلى قوة فاعلة في الحياة ، والوجه الثاني:هو الآثار التي نتجت عن هذا الفهم والتعامل والتحويل .

فالوجه الأول ، وهو فهم المنهج وكيفية التعامل معه وتحويله إلى قوة فاعلة في الحياة لا زمني ، فهو خارج الزمن ولا يخضع لتياره ومجراه ، لأنه جزء من المنهج نفسه ومن المنظومة ولا يمكن فصله عنها ، بل إن المنهج القرآني نفسه يجعل هذا الفهم وهذا التطبيق ركنًا من أركان المنظومة وحقيقة من حقائقها :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (الحشر:٧).

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء:٨٠).

إذًا فليس لأحد ينتمي إلى المنظومة ، أو يدعي أنه ينتمي إليها ، فردًا كان أو مجتمعًا ، في أي عصر أن يفهم المنهج أو يفسره أو يتعامل معه بغير ما فهمه وتعامل معه المجتمع النبوي في وجود النبي عليه الصلاة والسلام ، وليس لأحد أن يقتطع شيئًا من سياقه أو يتعامل معه منفردًا أو يعظمه على

حساب غيره من أركان المنهج وجزئياته ، مثلما نسمع عن أن الإسلام دين العقل أو أنه دين السلام .

فالإسلام دين العقل والوحي معًا ، وإذا كان للسلام ركنه الركين ، فللجهاد والحرب الصريحة مكانها وموضعها .

ولو أن فهم المنهج وكيفية التعامل معه كان زمنيًّا مفتوحًا لكل عصر ليفهم ما يشاء ، لما كان لوجود النبي عليه الصلاة والسلام وجهاده وإرشاده ، ولا لتنجيم الوحي وارتباط نزوله بوقائع الحياة من معنى ، ولكان يكفي أن ينزل القرآن كتابًا كاملاً ورؤية تامة ثم تبلبل العقول في فهمها وتتوالد منها النظريات ولا مرجح لإحداها على الأخرى ، كما حدث لكل النماذج والمناهج غير الإسلامية .

فوجود مجتمع حي متحرك معصوم تتحول فيه تفاصيل المنظومة إلى وقائع عملية هو تكوين لنموذج يُحتذى ، وعصمة لأصول المنهج من التحريف وسوء الفهم على مستوى التطبيق .

وأما الوجه الثاني : وهو الآثار التي نجمت في الحياة من فهم المنهج والتعامل معه وبه ، فهو جزء زمني يخضع لقانون الزمن والتاريخ بالضرورة ، لأن تفاصيل الوقائع والأحداث التي يتعامل معها المنهج ويطبق عليها الفهم قد اختلفت وتغيرت ، ولا يمكن أحد أن يعيد شكل الحياة ووقائعها إلى ما كانت عليه في العهد النبوي لينتج آثارًا شبيهة بما أنتجه فهم المنهج وتطبيقه في العهد النبوي .

إذًا فالمطلوب دائمًا هو فهم أركان المنهج الإسلامي كما فهمه النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه والتعامل معه كما تعاملوا هم معه ، وإن كانت الآثار الناجمة ستختلف صورتها لاختلاف الوقائع وأحداث الحياة .

ويمكن أن نضع الأمر في صورة رياضية فنقول : آثار المنهج وثماره في الحياة هي نتاج تفاعل الفهم والرؤية مع الوقائع والأحداث ، أو :

(الآثار والثمار = الفهم + الوقائع والأحداث)

فالفهم في طرف المعادلة الثاني ثابت لا يتغير ، والوقائع هي المتغيرة المتجددة ، ونتاج التفاعل بينهما هو الآثار والثمار أيًّا كان شكلها ومظهرها .

وهنا ينبغي ملاحظة أن جزءًا من تكوين المنهج القرآني وحقائقه هو مرونته الفائقة واستيعابه لكل أحداث الحياة ووقائعها على امتداد الزمان وتنائي المكان ، لأن الله عز وجل محيط بالزمان والمكان .

والملاحظة الثانية هي أن إحكام المنظومة وشمولها يعصم الآثار ويمنع الثمار من أن تخرج على حدودها وأركانها ، بمعنى أن اختلاف الوقائع لا يخل بالمنهج لمرونته ، واختلاف الفهم أو انحرافه سيؤدي إلى آثار يلفظها المنهج وتأباها المنظومة لشمولهما وإحكامهما الفائق ، فتظل المعادلة دائمًا متوازنة لا يعجز فيها الفهم عن التعامل مع الوقائع ، ولا تخرج فيها الآثار والثمار عن المنهج إلا بانحراف في الفهم تكشفه على الفور المنظومة وتلفظه .

الدورة الزمنية مرة أخرى : نمط فريد

ولابد من العودة الآن إلى موضوع الدورة الزمنية .

قلنا : إن المنهج والمنظومة الإسلامية الشاملة لا تخضع لقانون الدورة الزمنية التي خضعت لها وتخضع كل المناهج والمنظومات التصورية التفسيرية الأخرى .

إذًا فما الذى يحدث للمسلمين ، وإذا لم يكن ما يحدث لهم هو دورة زمنية تبدأ بالرقي وتنتهي بالتخلف ، فماذا يكون ؟

والإجابة في السؤال نفسه ، فهناك دورة فعلاً ، ولكن هذه الدورة لا أثر لها في المنظومة والمنهج والتصور ، وإنما أثرها في من يقومون على هذا المنهج

ويطبقونه ويتعاملون معه ، فإحدى خصائص هذه الحضارة وسمات هذه الرؤية أن من حقائقها ومكوناتها إقرارها بوجود دورة فريدة تلحق أتباع المنهج وأصحاب المنظومة .

وتفرد هذه الدورة في الرؤية والمنهج الإسلامي عن غيرها من التصورات هو أنها لا ترتبط بالزمن وليست حتمًا مقضيًّا لا إرادة للبشر فيها ، وإنما هي مرتبطة بالنموذج والمنهج قربًا منه أوبعدًا عنه وليس بالزمن ، فهذه الدورة ليست حتمًا محتمًا على المسلمين من خارج أنفسهم وبفعل قوى خارجة عن إرادتهم ، وإنما هي قانون يرتبط بإرادتهم وفعلهم ، وجزء من هذا القانون هو تغيره وتوقف الدورة ، وأيضًا بإرادتهم وفعلهم .

ونوضح فنقول : الدورة في المنظومة والتصور الإسلامي تحدث بالصورة التالية : المنظومة شاملة كاملة ، وحين يطبق المسلمون هذه المنظومة كما ينبغي لها وكما فهمها العهد النبوي ، يتفاعل المنهج والمنظومة مع الحياة فتأتي المنجزات والثمار .

فإذا وصل المسلمون إلى قمة الإنجاز أو ذروة الدورة ، وهى تطبيق المنهج بصورة شاملة صحيحة في المجتمع ، فلا شيء يحتم الانحدار والتدهور طالما ظل المنهج كما هو والمنظومة كما هي على أصل فهمها استيعابًا وتطبيقًا .

فإذا ابتعد المسلمون عن المنظومة أو غفلوا عنها أو أساءوا فهمها أو تغاضوا عن بعض أجزائها بدأ التدهور والانحدار ، ويكون مقداره بقدر بعدهم عن المنظومة النظرية والنموذج التطبيقي لها ، وهو العهد النبوي ، وتكون سرعة انحدارهم وتدهورهم بقدر سرعة ابتعادهم عنها .

فإذا انفصل المنهج والمنظومة والتصور عن المجتمع انفصالاً تامًّا وصار هو في واد وهم في واد آخر كانت هذه النقطة هي حضيض الدورة ، ويكون إنشاء الحضارة مرة أخرى في هذه الحالة هو تغيير المجتمع بإعادة التصور والمنظومة والمنهج إليه وإعادة بنائه وتكوينه بها وعليها ، فيصل المجتمع إلى

قمة الحضارة عندما يكتمل المنهج فيه حين يكون قد تم نزول جزئياته وتفاعلها داخله .

إذًا فالدورة وتقلب الحضارة ، سواء برؤيتنا وهي التغيير والتصور الجديد ، أو بما يفهمه الآخرون وهو الثمار والمنجزات ، ترتبط بالمنهج والمنظومة وصحة فهمها والقدرة على تحويلها إلى واقع حي ، وليس بالزمن طال أو قصر .

وهذه حقيقة في ذاتها ، وحقيقة مقررة في أذهان المسلمين حال الوعي والإدراك ، وهي حقيقة تقررها المنظومة نفسها ويؤكدها المنهج ، وكذا تؤكدها وقائع المسلمين وأحوالهم في التاريخ .

فالمنظومة نفسها تؤكد ارتباط نوع الحياة وشكل المجتمع بالقرب أو البعد عنها ، فهذه هي عواقب الابتعاد عن المنهج :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه:١٢٤).

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الأنفال:٥٣).

والعكس صحيح ، فهذه هي نتائج اتباعه :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف:٩٦).

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ (المائدة:٦٦).

والمنهج يجمع طرفي الدورة المرتبطة به معًا :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ (سبأ:١٥،١٦).

فالدورة ، رقيًا وانحدارًا ، ترتبط بالمنهج قربًا وبعدًا ، وإرادة البشر هي الفاعلة فيها وليس الزمن المحض ولا القوى الخارجة عنهم .

فهذه الدورة لاترتبط بالمدى الزمني ولا بمرور عصور متطاولة ، وإنما فقط بالقدرة على فهم المنظومة وتطبيقها ، وهذا هو ما يفسر حالات الانبعاث الإسلامي المفاجئ والذي لا يخضع لقانون تطور الإنجازات الظاهرة المعتاد في سائر الأمم الأخرى .

وهو ما لا يستطيع الغرب أن يفهمه كيف يحدث وإن كان يعرف أنه يحدث ويتحسب دائمًا له ، يستوي في ذلك مفكروه وساسته .

وتؤكد هذه الحقيقة من حقائق المنظومة حقائق التاريخ .

فحين يقف مسلم من أبناء المنظومة في القرن الحادي والعشرين وينظر خلفه ، فسيرى أن حوادث التاريخ نفسها تؤكد القانون الذي وضعته المنظومة للدورة ، وهو أن فهم المنظومة كما فهمها العهد النبوي والتعامل معها والوعي بها وإعادة المجتمع إليها وتكوينه بها وتشربه للرؤية والتصور الذي تحمله هو الحضارة ، والإنجاز ، أيًا كان ميدانه ، هو الثمار .

يقول أرنولد توينبي : «**في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي كان العالم يتساءل وهو ينظر للإسلام والمسلمين : هل يبقى من دين محمد شيء؟ وفي نهايته كان العالم كله يحبس أنفاسه ويتساءل : هل يبقى أمام دين محمد شيء؟**»!

والفرق بين بداية هذا القرن ونهايته هو الوعي بالمنظومة وتكوين المجتمع بها ، فمما يرويه ابن جبير في رحلته عن مجلس الناصر صلاح الدين الأيوبي في الوقت الذي كان العالم يحبس فيه أنفاسه : «**وحضره أحد مماليكه المتميزين عنده بالحظوة والأثرة مستعديًا على جمَّال ذكر أنه باعه جملاً معيبًا ، فقال السلطان له : ما عسى أن أصنع لك؟ للمسلمين قاض يحكم**

بينهم ، والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة ، وأوامره ونواهيه ممتثلة ، وإنما أنا عبد الشرع وشحنته ، فالشرع يقضي لك أو عليك»[1].

فالإنجاز الذي حققه الناصر صلاح الدين لم يكن بالقوة والخطط العسكرية المحض ، مع قدراته الفريدة والفذة فيها ، وإنما كان بفهم المنظومة الفهم النبوي وإعادة تنزيل جزئيات المنهج في دولته وجيشه وبنائهما به ، ولو أدى تطبيق هذه الجزئيات إلى التسوية بين أحد قواده المتميزين وبين بائع جمال ، وهو خطأ فادح بميزان العسكرية المحض .

فهذا نموذج حقيقي على فهم المنهج وتشربه والإيمان بقدرته وأثره ، وهو في الوقت نفسه مثال نموذجي على قدرة المنهج على الإثمار في أي وقت وتحت أي ظرف .

فقمة الدورة الحضارية الإسلامية هي فهم المنهج الفهم النبوي وتمام بناء الواقع به وإخضاعه لأركانه وجزئياته ، والحضيض هو خلاف ذلك تمامًا .

وهذا الفهم لمعنى الدورة هو ما نلمحه ونستشفه من ثنايا تفسير ابن خلدون لتعاقب الدول الإسلامية ، حين علق نشوء الدولة على إقامة الشرع وإعادة الدين ، وربط نهايتها بفساد حكامها وخروجهم على الشرع : «**فلم يكن معاوية ليعهد إليه (يزيد) وهو يعتقد ما عليه من الفسق ، حاشا لله لمعاوية من ذلك ، وكذلك مروان بن الحكم وابنه ، وإن كانوا ملوكًا فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغي ، وإنما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم إلا فى ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة ، يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء ، فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك ، وأما مروان فكان في الطبقة الأولى**

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص٢٤٤ .

من التابعين ، وعدالتهم معروفة ، ثم تدرج الأمر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه ... ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها ، فكان ذلك مما دعا الناس إلى أن نعوا عليهم أفعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم ، وولي رجالها الأمر فكانوا من العدالة بمكان وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا ، حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ، ثم أفضى الأمر إلى بنيهم فأعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريًّا فتأذن الله بحربهم وانتزاع الأمر من أيدي العرب جملة وأمكن سواهم منه ، والله لا يظلم مثقال ذرة»[1].

وما قاله ابن خلدون لا يحتاج إلى إبانة إلا أن يُقرأ في ضوء ما أسلفناه وبصورة تتعدى مجرد حيازة الملك أو الحكم إلى المجتمع كله وقدرته على الإنجاز والإثمار .

* * *

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٨، ٢٢٩ .

obeikandl.com

الحضارة القرآنية
ماذا غيَّر القرآن في العالم وماذا أحضر للإنسانية

هذه هي الحضارة الإسلامية الحقيقية ، ما غيَّره القرآن في عقل العالم وما أحضره للإنسانية ، العالم الذي هو في الغرب والشرق والشمال والجنوب وليس الغرب فقط ، والإنسانية التي هي في أوروبا كما هي في آسيا وإفريقيا ، وهي فى العالم القديم كما هي في العالم الجديد ، هي المنهج والنموذج والمنظومة التي أحضرها القرآن للعالم وحضر للإنسانية بها ، فكانت فتحًا في مسيرتها ونقلة أعادت عناصر الوجود إلى أماكنها الصحيحة ، وفسرتها ، وفسرت العلاقة بينها والروابط بين مكوناتها التفسير الصحيح والمنطقي الوحيد الذي يجمع بينها جمعًا لا تتوزع به مكونات الإنسان ، ولا يتوه فيه عقله ، ولا تتضارب بتضاربه نفسه وتتمزق روحه .

فالحضارة القرآنية وإسهام الإسلام الحقيقي في مسيرة البشرية ، هو الأعمدة الكبرى والأركان التي غيَّر بها القرآن فهم الإنسان للألوهية والكون والوجود ولنفسه ، وبهذا التغير في الفهم تغيرت وقفة الإنسان من الوجود وتغيرت طريقة تعامله معه وتناوله له ، فكان الإثمار والإنجاز .

* * *

obeikandl.com